إجتماع الشرط والقسم في نهج البلاغة

طالبة الدكتوراه سميه قاسمي
yektaghasemi94@yahoo.com
الأستاذ المساعد الدكتور
سهاد جادري (الكاتب المسؤول)
sohadjaderi@yahoo.com
جمهورية إيران الإسلامية
جامعة آزاد الإسلامية في آبادان ـ قسم اللغة العربية وآدابها

Meeting condition and section in the approach of nahj albalaghah

Somayah ghasemi
PhD student at Azad Islamic University, Abadan Branch, Department of Arabic Language and Literature, Iran
Dr. Sohad Jaderi
Department of Arabic Language, Abadan branch, Islamic Azad University, Abadan, Iran

الملخص:-

كلام الإمام علي عليه السلام هو مدرسة الجمال وفن البيان. يتكون جزء كبير من تعابير نهج البلاغة من أسلوب القسم والشرط. ووفقا لوجهة نظر النحاة، القسم هو أسلوب يراد به تأكيد الخبر، واجتماعه مع الشرط لتوصيل الخبر إلى المخاطب يؤدي إلى أن يصبح الكلام أكثر تاكيدا. ومن الواضح أن وظيفة هذين الأسلوبين في جملة واحدة تخلق بعض التغييرات في البنية الرئيسية للجملة. ومن خلال الدراسة في مجال الشرط والقسم والاعتراف الكامل بأبعادهما المختلفة، يتضح لنا فهم العديد من العبارات في النصوص العربية، وخاصة القرآن ونهج البلاغة. الشرط واجتماعه مع القسم هو من الأساليب الشرطية التي إيجاز الحذف من متطلباتها. إن توظيف هذا الأسلوب البياني لديه فوائد، وبالإضافة التأكيد، يسعى إلى تحقيق أغراض بلاغية مثل التهويل والتفخيم أو تحقير مقام المحذوف. ومن القضايا الجديرة بالملاحظة هي التعبيرات التي يكون ظاهرها من نوع القضايا الاسنادية، ولكن مفهوم الكلام يشير إلى الشرط والتعابير الشرطية. تمت كتابة هذا البحث عن طريق المنهج الوصفي - التحليلي، ومع ذكر أمثلة من نهج البلاغة تمت دراسة اجتماع الشرط والقسم.

الكلمات الرئيسية: الشرط - القسم - الاجتماع - الحذف - نهج البلاغة.

Abstract:-

The words of Imam Ali are the school of beauty and the art of expression. The swear and provision have allocated themselves a large part of Nahj al-Balagh's phrases. The swear from syntactics viewpoint is a statement by which the news is emphasized and its association with the method of provision emphasizes the word in order to convey the message to the audience. It is undeniable that the function of these two modes in a phrase makes changes to the main structure of the sentence. By checking and studying in the area of provision and swear and the full recognition of its various dimensions, the key to understanding many of the terms in the Arabic texts, especially the Qur'an and Nahj al-Balaghah, is in our hands. The provision and its association with the swear is of the conditional methods that the brevity of elimination is one of its requirements. useing this form of expression is beneficial and pursues rhetorical goals such as scareing, magnification or contempt of the omitted status. Some of the considerable points are phrases whose appearance is of the type of documentary cases, but the content of the word refer to provision and conditional terms. This essay is written in a descriptive-analytical way and, by mentioning examples from Nahj al-Balaghah, has studied the association of provision and swear.

Key words: provision, swear, association, elimination, Nahj al-Balaghah.

١. المقدمة

مما لا شك فيه أن "نهج البلاغة" بعد القرآن الكريم يعد التراث الوحيد الغني من التعاليم الإلهية العالية، وقد أطلق عليه العلماء "أخ القرآن". إن ذكر اسم "نهج البلاغة" إلى جانب القرآن الكريم من قبل العديد من علماء العلوم القرآنية، يمثل القيمة العليا لهذا الكتاب. ولذلك قد قالوا: " كلامُهُ دون كلام الخالق و فوق كلام المخلوق". ويمكن الحصول على دهشة فصاحة كلام الإمام وبلاغته من خلال العناية إلى هذه العبارة فقط. ومن الواضح أن الإمام علي عليه السلام استخدم عدة أساليب بيانية في كلامه للتعبير عن المفاهيم الدنيوية والأخروية، ومنها أسلوب الشرط واجتماعه مع القسم الذي يتم توظيفه من أجل فهم سهل للموضوع.

إن القسم يستخدمه الشخص في كلامه لإثبات شيء ما أو إنكاره، ويؤكد على جملة ما بعده. ومن البديهي أن اجتماع القسم مع الشرط، يضاعف هذا التأكيد. كل من القسم والشرط لديهما أدواتهما الخاصة، وتسمى الجملة التي تأتي بعد هذه الأدوات بالجواب. العلاقة بين القسم وجوابه هي مثل العلاقة بين الشرط وجوابه. في حين إذا يُستخدَم القسم مع الشرط، فإن الجملة بعد الشرط والقسم تتعلق بالقسم، ويعتبر جواب الشرط محذوفا. يسعى توظيف هذه الطريقة إلى تحقيق العديد من الأهداف والأغراض، مثل التأكيد والتهويل والتفخيم أو تعظيم مقام المخاطب.

ومن أجل خلفية البحث، يمكن الإشارة إلى رسالة "اجتماع الشرط والقسم في القرآن" الكاتب: نبي الله شريفي في جامعة آزاد الإسلامية فرع نجف آباد. ولكن في مجال "نهج البلاغة"، لم يجر بحث بهذا الاسم.

وفي هذا البحث الذي مأخوذ من أطروحة دكتوراه الباحث، نسعى الإجابة على الأسئلة المذكورة أدناه من خلال التفكير في أقوال الإمام علي عليه السلام والعثور على التعابير الشرطية إلى جانب أسلوب القسم:

١- ما هو موقف وأهمية أسلوب الشرط واجتماعه مع القسم في الأدب العربي ولاسيما في كلام الإمام علي عليه السلام؟

٢- ما هي أغراض بلاغية ينويها الإمام باستخدام الشرط والقسم، وفي أي مضامين استخدم هذا الأسلوب البياني أكثر؟

٢. أسلوب الشرط

٢-١. الشرط

يتمتع معاني الشرط بنطاق واسع للغاية، ويظهر مع المعاني المختلفة في علوم عدة مثل الفلسفة والأصول والحقوق والفقه والحقوق وغيرها. ومن الواضح أن عدم فهم لازم ومعرفة كافية من معانيه المختلفة واستخدام صحيح لهذه المعاني كلها يؤدي إلى خلق مشكلة للمخاطب حين مواجهته؛ لأن كل من هذه المعاني يقدم مفهوما جديدا ومختلفا من الشرط للمخاطب."الشرط" هو مصطلح عربي وجمعه هو "الأشراط" و "الشروط". تعابير أهل اللغة لمعنى الشرط متشابهة. قد ذكر ابن منظور في تعريف الشرط: "إِلزامُ الشيء والتِزامُه في البيعِ ونحوه"(١٤٢٦، مادة شرط). وقد تكرر نفس التعبير في قاموس المحيط(فيروزآبادي، د.ت، مادة شرط). يقول دهخدا عنه: الشرط هو أن ينتمي شيء إلى شيء آخر، بحيث يعتمد تحقيق الجزء الأول على تحقيق الجزء الثاني(١٣٣٧، مادة شرط). من وجهة نظر المبرد، الشرط هو وقوع شيء يتوقف على وقوع شيء آخر(د.ت، ص٣٤٦). وما يمكن استنتاجه من الجمل المذكورة أعلاه هو أن الشرط في اللغة هو عقد ثنائي الاتجاه، بحيث إذا حدث أحدهما، فسيحدث الآخر.

يعتقد النحاة أن الشرط هو عبارة لديها أدوات خاصة وتربط الجملة الأولى بالثانية. وفي الواقع، "يرتبط وقوع الجملة الثانية بوقوع الجملة الأولى، والجملة الأولى هي سبب الجملة الثانية"(الأنطاكي، ١٩٨٢، ج٢، ص٥٢؛ الكفوي، د.ت، ج٣، ص٦٧). وبعبارة أخرى، الشرط أو الجملة الشرطية هو عبارة تتكون من أدوات الشرط، وفعله وجوابه، وتربط هذه الأدوات الخاصة الجملة الأولى بالجملة الثانية وتتوقف إمكانية وقوع الجملة الثانية على وقوع الجملة الأولى.

٢-٢. أداة الشرط

ما الذي يربط الجمل الشرطية بعضها البعض، وفي الواقع واسطة بين الجملتين، هو أداة الشرط. تلعب أدوات الشرط دورا رئيسيا، وعدم وجودها في الجملة، لن يبلغ المفهوم

تماما إلى المخاطب، بالإضافة إلى عدم تشكيل الجملة الشرطية(إبن قيم، د.ت، ج١، ص٤٣؛ الأندلسي، ١٤١٨، ج٤، ص١٨٢٦).

لقد قسم علماء علم النحو أداة الشرط إلى أنواع مختلفة. أحد هذه الأقسام هو الإمتناعية وغير الإمتناعية. الغرض من الإمتناعية هو أن العلاقة بين جملتي الشرط وجوابهما هي علاقة سلبية، أي أن وقوعها مستحيل وبعيد عن العقل.

ومن بين أدوات الشرط، تكون الأدوات الثالث (لو - لولا - لوما) من نوع الإمتناعية، ويمكن تصنيف بقية الأدوات في فئة أداة الشرط غير الإمتناعية.

"لو"

"لو" هو حرف شرط غير جازم يتصل بين الجملتين الأوليتين ويكون من الأدوات الإمتناعية.

﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يونس/١٦.

"لولا"

هو حرف شرط غير جازم. والاسم المرفوع بعده هو المبتدأ وخبره يكون محذوفا، ويعد أداة الشرط الإمتناعية.

﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ بقرة/٦٤.

"لوما"

هو حرف شرط غير جازم، وهو أداة الشرط الإمتناعية مثل "لو" و"لولا".

لوما الكتابة لَضاعَ مُعظَم العُلوم

يمكن وضع بقية الأدوات في فئة أداة الشرط غير الإمتناعية ولن يكون وقوعها بعيدا عن التوقع.

ويعتبر بعض العلماء حرف (لو) إما أداة شرط إمتناعية وإما أداة شرط إمتناعية، وفي الواقع إذا يعتبره غير إمتناعية يكون بمعنى (إن) وقد أكمل خطابه مع هذا المثال: لو يبرد

الطَقسُ في الشتاءِ أتدثر بالأغطية الصوفية(فوال باقي، ١٤١٢، ص٨٩٣).

٣-٢. أسلوب الشرط

وقد أدت عوامل مختلفة مثل تعدد أدواة الشرط، والصيغ المختلفة للأفعال، والتقدم والتأخر، أو حذف فعل الشرط وجوابه، إلى حدوث طرق مختلفة لأسلوب الشرط. وأسلوب الشرط يعني الطرق التي يمكن استخدامها لنقل موضوع في شكل جملة شرطية.وبعبارة أخرى، فإن تعدد الأساليب الشرطية واستخدامها في الكلام، يوفر للكاتب طرق متنوعة من الكلام، وهو يختار واحدا منها، مع مراعاة مقتضى الحال والمقام، وكذلك وفقا لأهداف وأغراض الأساليب.

ومن إحدى الأساليب والطرق الأكثر استخداما للشرط في كلام الإمام علي عليه السلام هي أسلوب الشرط القائم على حذف أحد أركان الشرط وفي هذه الطريقة، حذف أحد عناصر الشرط هو من متطلباتها.

٢-٤. أسلوب الشرط القائم على حذف أحد أركان الشرط

في بعض الجمل العربية، يشاهد حذف أحد أركان الجملة، مثل حذف اسم، أو فعل، أو حتى تركيب واحد. وفي الواقع، فإن قاعدة الحذف في اللغة العربية تجري لأجل الوصول إلى الإيجاز والاختصار. ومن خلال استخدام الحذف في الكلام، يكتفي بعبارة بسيطة وموجزة ومفيدة بحيث تُعبِّر الرسالة الأصلية للمخاطب بشكل كامل. والقضية الرئيسية في قاعدة الحذف هي أن يكون الحذف أبلغ من الذكر، بحيث إذا ظهر نفس الحذف في الجملة، يتم تقليل قيمة الكلام وبلاغته(العلوي، د.ت، ج٢، ص٥١). فإذا كان القائل يقصد حذف عبارة، فيجب عليه إدراج مفهوم هذه الكلمة في بقية الجملة. الحذف في مصطلح علم البيان يعني "إدراج معان كثيرة في عبارة قصيرة"(المصدر نفسه، ج٢، ص٥٠).

يُحذَف أحد العناصر المذكورة أدناه في أسلوب الشرط القائم على حذف أحد أركان الشرط: حذف الأداة، حذف الأداة وفعل الشرط، حذف فعل الشرط وحذف جواب الشرط. وفي هذا البحث، ستتم دراسة حذف جواب الشرط؛ لأن حذف جواب الشرط من مقتضى إجتماع القسم مع الشرط.

٣. القسم

إن القسم هو حلف يستخدمه الشخص في كلامه لإثبات شيء ما أو إنكاره، ويؤكد على جملة ما بعده. "القسم كالشرط لديه أدوات خاصة ولايذكر إلا إحداها في الجملة، مثل (واو)، (باء)، (تاء)، (سيبويه، د.ت، ج٣، ص٤٩٦)". ونرى مثالا من استخدام القسم في القرآن الكريم: ﴿تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾.الأنبياء/٥٧

فائدة القسم وقعت في جوابه، والكلمة تكتمل من خلالها. العلاقة الموجودة بين القسم وجوابه هي كالعلاقة الموجودة بين الشرط وجوابه (إبن يعيش، د.ت، ج٩، ص٩٣).

جواب القسم لديه حالات مختلفة:

أ- الجملة الفعلية التي يكون فعلها موجبا ومقترنا بـ (لام) و(نون). (وَالله لَأفعَلَنَّ)

ب- الجملة الفعلية التي يكون فعلها ماضيا ومقترنا بـ (لام).(وَالله لَفَعَلتُ)

ج- الجملة الفعلية السالبة بـ (ما)، (لا) أو (إن). (وَ الله لَأفعل)

د- الجملة الإسمية الموجبة المقترنة بـ (إنَّ) و(لام).

هـ- الجملة الإسمية السالبة بـ (ما)، (لا) أو (إن). (سيبويه، د.ت. ج٣، ص١٠٤)

٤. إجتماع الشرط والقسم

القسم هو أسلوب من التأكيد في الكلام، ويلجأ الكاتب إليه لزيادة التأكيد على كلامه. بل هو أيضاً وسيلة للقضاء على أي شك في ذهن المخاطب. ونحن نرى أن الإمام علي عليه السلام يستخدم كثيرا من أسلوب القسم في كلامه والذي يؤدي إجتماعه مع أسلوب الشرط إلى جمال هذا الأسلوب. ومن الواضح أن إجتماع هذين الأسلوبين بعضهما البعض هو فقط لمزيد من التأكيد في الجملة ومشاركة ذهن المستمع ومحاولته لتحقيق الهدف المثالي للجملة. إذا ذكرت الجملة الشرطية مع القسم، فإن مرافقة الشرط مع القسم هذه ستؤدي إلى تغييرات. يعتقد السيد رضي أنه إذا تقدم القسم على الشرط، فإن الجملة التي تأتي بعد الشرط هي جواب القسم. (الإستراباذي، ١٣٨٤، ج٤، ص٤٥٨). وبعبارة أخرى، إذا تقدم القسم على الشرط، فستكون العبارة المذكورة كجواب للقسم، وعلى هذا النحو، سيتم

إلغاء الجملة الشرطية وسيعتبر جواب الشرط محذوفا وقرينته أيضا هي جواب القسم نفسه.

على سبيل المثال، في جملة "والله إن قمتَ لأقومنّ" ذُكِرَ الشرط مع القسم، وتقدم القسم على الشرط، وفي هذه الحالة، جملة "لأقومنّ" هي جواب القسم ويعتبر جواب الشرط محذوفا.

ولكن دخول القسم على الشرط هذا إما يكون على الشرط الإمتناعي وإما يكون على الشرط غير الإمتناعي. والغرض من الإمتناعية هو أن العلاقة بين جملتي الشرط هي علاقة سلبية، أي أن وقوعها مستحيل وبعيد عن العقل. وأدوات الشرط غير الجازم أي (لو - لولا - لوما) تكون من فئة أداة الشرط الإمتناعية، ويمكن تصنيف بقية الأدوات في فئة أداة الشرط غير الإمتناعية(فوّال باقي، ١٤١٢، ص٨٩٣).

يعتقد بعض علماء النحو أن هناك فرق بين إجتماع القسم مع الشرط الإمتناعي والشرط غير الإمتناعي. في إجتماع القسم مع الشرط غير الإمتناعي، يُذكَر جواب القسم في العبارة، ولكن في الشرط الإمتناعي، يعتقد بعض علماء النحو أن القسم في هذا الموقف لا يحتاج إلى جوابه. ولكن السيد رضي لا يرى فرقا بين الشرط الإمتناعي والشرط غير الإمتناعي، بحيث في حالة ذكر كل منهما مع القسم إذا كان القسم في بداية العبارة وبعده ذكرت أداة الشرط (الإمتناعية أو غير الإمتناعية)، يكون العبارة ما بعده كجواب القسم، ويعتبر جواب الشرط بمثابة المحذوف بناء على قرينة وجود جواب القسم. وإنه يستمدّ من هذه الآية القرآنية لإثبات إدعائه:"لَو تَعلَمونَ علمَ اليقين-لَتَرَوُنَّ الجَحيم" التكاثر/٥-٦(الإستراباذي، ١٣٨٤، ج٤، ص٤٥٦). ويرى حسن عباس أنه إذا كان القسم مصحوبا بالشرط الإمتناعي، فإن الجواب المذكور يتعلق بالشرط، وعبارة الشرط وجوابه هي بمثابة جواب للقسم، نحو: (وَالله لَو لا اللهُ ما اهتَدَيناه)، عبارة (ما اهتَدَيناه) هي جواب الشرط وعبارة (لَو لا اللهُ ما اهتَدَيناه) هي جواب القسم(١٣٦٧، ج٤، ص٤٨٨).

وكما نرى من خلال دراسة الباحث، فإن استخدام القسم مع أداة الشرط غير الإمتناعية (إن) لقد سجل ٢٤ مرة وكذلك مع أداة الشرط الإمتناعية (لو-لولا-لوما) لقد شوهد حوالي ١٦ مرة في نهج البلاغة.

٤-١. أغراض بلاغية لاستخدام الشرط والقسم وحذف جواب الشرط

حذف جزء من بنية الجملة والذي يجري من خلال إجتماع القسم مع الشرط بعضه البعض وبرأي الكاتب ومقتضى الحال والمقام، يتمتع بأغراض بلاغية مختلفة. ومن أهم هذه الأغراض التي كانت مثير للإعجاب في نهج البلاغة هي:

أ. الإختصار والتجنب عن إطالة الكلام: الغرض الأول للمتكلم من استخدام صنعة الحذف القائمة على إجتماع القسم والشرط، هو التجنب عن الإطالة، وويستلزم تحقيق هذا الغرض البلاغي ثقة الكاتب في معرفة المستمع. وقد ذكر سبب إيجاز الحذف، الإختصار والتجنب عن الإكثار(السيوطي، ١٤٢٧هـ.ق، ص٥٩٣). ويمكن ملاحظة نموذج من هذا المنهج في حكمة رقم ٣٦٦ لنهج البلاغة: "وَالْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ فَإِنْ أَجَابَ وَ إِلَّا ارْتَحَلَ عَنْه"، فإنه حذف فعل الشرط بناء على معرفة المستمع ولأجل الإختصار والحصول السريع على فحوى الكلام.

ب. التهويل، التفخيم أو تحقير مقام المحذوف: ومن الوظائف والأغراض البلاغية الأخرى لأسلوب الحذف هي إيجاد الخوف وتكريم شأن المحذوف أو تحقيره في الكلام. كالحكمة ٤٤٣: " وَ قَالَ ع وَ قَدْ جَاءَهُ نَعْيُ الْأَشْتَرِ رَحِمَهُ اللَّهُ مَالِكٌ وَ مَا مَالِكٌ وَ اللَّهِ لَوْ كَانَ جَبَلاً لَكَانَ فِنْداً [أَوْ] وَ لَوْ كَانَ حَجَراً لَكَانَ صَلْداً لَا يَرْتَقِيهِ الْحَافِرُ وَ لَا يُوفِي عَلَيْهِ الطَّائِرُ". لقد حذف جواب الشرط من أجل تعظيم وتفخيم مقام مالك أشتر وشخصيته عند المخاطب. أو في الخطبة ٧٧: "وَ اللهِ لَئِن بَقِيتُ لَهُم لَأَنفُضَنَّهُم نَفضَ اللِّحَامِ الوِذامَ التَّرِبَةَ". كفّ الإمام عن جواب الشرط لغرض تحقيره وتنزيل مقامه.

ت. شمول المعنى: "قد يعمّم مفهوم العبارة عن طريق حذف جزء من الكلام ويصبح نطاق المعاني أوسع من الذكر(التفتازاني، ١٤٢٥، ص٤٨٣). وفي الحذف مع غرض شمول المعنى، يأخذ المخاطب في الاعتبار تقادير مختلفة للمحذوف، وبالطبع لقد كان هذا غرض الكاتب نفس. على سبيل المثال، نرى في جزء من الحكمة رقم ٢٢: "لَنا حَقٌّ فَإن أُعطِيناهُ وَ إلّا رَكِبنا أعجازَ الإبِلِ". لقد حذف جواب الشرط في (إن أعطيناه) وفعل الشرط في (إلّا ركبنا)، ولم يكن سببه البلاغي شيئا إلا شمولية

المعنى. من خلال حذف هذين الركنين، فإن المعنى الذي يستنبطه المخاطب من الجملة سيخضع للتغييرات ويتضمن مفاهيم أكثر، مما يعني أنه كانت تجري تغييرات في ظروف العصر في حالة إعطاء حق الإمام وأولاده لهم.

ث. التأكيد في الكلام: استخدام كل من القسم والشرط هو نوع من التأكيد والذي يستخدمهما الكاتب للقضاء على أي شك وشبهة في كلامه. هذا الإجتماع والمصاحبة لأسلوبي القسم والشرط يزيد من تأكيد الكلام ويرسخ المفهوم في ذهن المخاطب.

٤-١. استخدام القسم مع أداة الشرط غير الإمتناعية في نهج البلاغة:

(إن)

ومن بين الأدلة الموجودة لاستخدام أداة الشرط غير الإمتناعية يمكن الإشارة إلى الخطبة ١٢٢ والتي موجهة إلى الخوارج الذين ألحّوا على تمردهم:

"وَاللَّه لَئِنْ أَبَيْتُهَا مَا وَجَبَتْ عَلَيَّ فَرِيضَتُهَا وَ لَا حَمَّلَنِي اللَّهُ ذَنْبَهَا وَ وَاللَّهِ إِنْ جِئْتُهَا إِنِّي لَلْمُحِقُّ الَّذِي يُتَّبَعُ وَ إِنَّ الْكِتَابَ لَمَعِي مَا فَارَقْتُهُ مُذْ صَحِبْتُهُ".

المثال في هذه الحكمة هو عبارة (وَ اللَّه لَئِنْ أَبَيْتُهَا مَا وَجَبَتْ عَلَيَّ فَرِيضَتُهَا)، والتي تحدث بها الإمام عن استحالة عقابه من قبل الله تعالي وذلك من خلال استخدام القسم مع الشرط غير الإمتناعي وخلق أسلوب من الكلام، وطبعا قد أعلن أن عدم مبالاته مستحيل عن طريق استخدام أداة الشرط غير الإمتناعية. عبارة (مَا وَجَبَتْ عَلَيَّ فَرِيضَتُهَا) هي جواب القسم وقد حذف جواب الشرط بناء على قرينة وجود جواب القسم في العبارة. ومن أهداف وأغراض هذا الأسلوب يمكن الإشارة إلى الإختصار وأيضا التأكيد في الكلام.

ونقرأ في الخطاب ٢٩ الموجه إلى أهل البصرة:

"وَلَئِنْ أَلْجَأْتُمُونِي إِلَى الْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ لَأُوقِعَنَّ بِكُمْ وَقْعَةً لَا يَكُونُ يَوْمُ الْجَمَلِ إِلَيْهَا إِلاَّ كَلَعْقَةِ لاَعِقٍ".

وما الذي نراه في هذه العبارة هو تقدم أسلوب القسم على أسلوب الشرط، وتسمى (اللام) المتصلة بـ (إن) الشرطية بـ (اللام) الموطئة، مما يشير إلى هذا التقدم. وفي هذه الحالة،

جملة (لَأُوقِعَنَّ) هي جواب القسم وليس جواب الشرط.لم يعبر الإمام علي عليه السلام عن الإجابة المشروطة في البيان أعلاه ليظهر للمخاطب عظمة هجومه على أهل البصرة بالإضافة إلى التأكيد الموجود في العبارة. الهجوم الذي كانت معركة الجمل صغيرة جدا بالنسبة له(كَلَعْقَةِ لاَعِقٍ). وهذا الأسلوب من الكلام يتمتع بشمولية المعنى بالإضافة إلى تفخيم وتعظيم مقام المحذوف؛ لأنه يؤدي إلى تفكير المخاطب ويعكس مفاهيم أخرى عن رد فعل الإمام في ذهنه.

ومن النقاط الجديرة بالملاحظة في هذه العبارة الجميلة هي وجود التشبيه التمثيل. لقد شبّه الإمام معركة الجمل بلعق الطعام، ويمكن اعتبار وجه الشبه لكليهما ببساطة الأمر وسهولته. التشبيه التمثيل هو تشبيه يتطلب وجه الشبه فيه التأمل والعناية وسيرفع قيمة المعاني.

يمكن ملاحظة استخدام آخر لإجتماع الشرط القسم في الخطبة ١٢٤:

"وَايْمُ اللهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ الْعَاجِلَةِ، لاَ تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ الآخِرَةْ".

لقد ذكرت عبارة (سيف الآخرة) من باب المشاكلة مع سيف العاجلة. المشاكلة هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته. ويوجد من أمثلة تحويل الألفاظ لمراعاة المشاكلة في نهج البلاغة في هذا الجزء من الخطبة ١٢٤. ليس هناك سيف للآخرة والغرض من النار هو الجهنم وغضب الله. ومن الواضح أنه إذا لم يجد الشخص عقابا على عمله في هذه الدنيا، فلا شك أن عذاب الجهنم ينتظره. استخدام أسلوب القسم والشرط بعضه البعض، قد أعطى العبارة تأكيدا خاصا وأهمية خاصة. جملة (لا تسلموا) هي الجواب المقترن بـ (لاء) النافية، والتي وقعت في جواب القسم.

إن حذف جواب الشرط، بالإضافة إلى التأكيد الحادث من خلال إجتماع القسم والشرط يدلّ على غرضين بلاغيين آخرين: الغرض الأول هو خلق الخوف والتهويل في قلب المخاطب، والغرض الآخر هو شمول المعنى الذي يحذّر الناس من نار الجحيم والتعذيب فيها وغضب الله.

٤-٣. استخدام القسم مع أداة الشرط الإمتناعية

(لو)

لقد ذكر علماء النحو، جواب شرط (لو) كمزايا ومحاسن باب الإيجاز(العلوي، د.ت، ج٢: ص١١٤). ولأجل ذكر مثال لهذا الأسلوب(حذف جواب الشرط عن طريق إجتماع الشرط مع القسم)، يمكن الإشارة إلى الخطبة ١٥ والتي ذكرت فيما يتعلق بإعطاء غير محدود عثمان من بيت المال إلى بعض أقاربه:

"وَ اَللَّه لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ اَلنِّسَاءُ وَ مُلِكَ **[تَمَلَّكَ]** بِهِ اَلْإِمَاءُ لَرَدَدْتُهُ فَإِنَّ فِي اَلْعَدْلِ سَعَةً وَ مَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ اَلْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ".

أداة الشرط التي تكون من فئة أدوات الشرط الإمتناعية هي مثال لهذا القسم. تتعلق عبارة (لَرَدَدْتُهُ) إلى القسم، وحُذف جواب شرط (لو) من أجل وجود جواب القسم. يعتبر تأكيد الكلام وتفخيم مقام المحذوف من الأغراض البلاغية لهذا الأسلوب من الكلام في العبارة المذكورة أعلاه.

- مثال آخر من استخدام هذه الطريقة، والذي كان حول وصول خبر شهادة مالك أشتر إلى الإمام، وقع في الحكمة ٤٤٣ لنهج البلاغة. نقرأ في هذه الحكمة:

"وَ قَالَ ع وَ قَدْ جَاءَهُ نَعْيُ اَلْأَشْتَرِ رَحِمَهُ اَللَّهُ مَالِكٌ وَ مَا مَالِكٌ وَ اَللَّه لَوْ كَانَ جَبَلاً لَكَانَ فِنْداً **[أَوْ]** وَ لَوْ كَانَ حَجَراً لَكَانَ صَلْداً لاَ يَرْتَقِيهِ اَلْحَافِرُ وَ لاَ يُوفِي عَلَيْهِ اَلطَّائِرُ".

جملتا (وَ اَللَّه لَوْ كَانَ جَبَلاً لَكَانَ فِنْداً) و(وَ لَوْ كَانَ حَجَراً لَكَانَ صَلْدا) هما بمثابة مثال لإجتماع القسم والشرط الإمتناعي. وقعت جملتا (لَكَانَ فِنْداً) و (لَكَانَ صَلْدا) كجواب القسم وقد حذف جواب الشرط لأجل التهويل وتعظيم مقام المحذوف.

مثال آخر من الأسلوب المذكور هو الخطاب ٤١ الموجه إلى أحد عماله:

"وَوَاللهِ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَعَلاَ مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ، مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ، وَلاَ ظَفِرَا مِنِّي بِإِرَادَةٍ، حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُمَا، وَأُزِيحَ الْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتِهِمَا".

عبارة (مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ) هي جواب القسم لكلمة (والله)، ويعتبر جواب الشرط محذوفا أيضا بتقدم القسم على الشرط. ومن خلال حذف جواب الشرط، الإمام

بغرض جذب انتباه المخاطب واهتمامه الكامل بمضمون الرسالة، وكذلك إظهار أهمية الموضوع لقد ذكر أنه إذا كان أبنائي يظلمون هكذا، كنت أقف ضده ولم أتردد في القيام بأية محاولة لأخذ حق المظلوم من الظالم.

(لو لا)

لقد استخدم إجتماع أسلوب القسم والشرط مع استعمال أداة شرط (لو لا) في ثلاثة مواضع لنهج البلاغة. ونحن نقرأ في الخطاب ٣٤ الموجه لعبد الله بن عباس هكذا:

"فَوَاللَّه لَوْ لَا طَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي فِي الشَّهَادَةِ وَ تَوْطِينِي نَفْسِي عَلَى الْمَنِيَّةِ لَأَحْبَبْتُ أَلَّا أَبْقَى مَعَ هَؤُلَاءِ يَوْماً وَاحِداً وَ لَا أَلْتَقِيَ بِهِمْ أَبَدا".

عبارة (لَأَحْبَبْتُ أَلَّا أَبْقَى) تكون جواب القسم بواسطة تقدم القسم على الشرط. السبب في حذف جواب الشرط الجملة هو تحقير مقام المحذوف، وهو عدم رغبة الإمام لزيارة الناس.

الخاتمة والاستنتاج:

ومن بين أساليب التأكيد في الكلام، يعتبر أسلوب القسم وأسلوب الشرط من الأساليب الأكثر استخداما في النصوص العربية، وإجتماع هذين الأسلوبين بعضهما البعض يزيد من تأكيد الكلام ويزيل أي شك من ذهن المخاطب. ونهج البلاغة كعمل خالد -إما في نطاق الدين وإما في نطاق الأدب- ليس خاليا عن هذا الأسلوب. إن إجتماع القسم والشرط بعضهما البعض في العبارة يؤدي إلى حدوث أسلوب آخر للكلام وهو إيجاز الحذف نفسه، ويُحذَف جواب الشرط في العبارة. ووفقا لدراسة الباحث استخدمت هذه الطريقة في كثير من عبارات نهج البلاغة مع أداة الشرط الإمتناعية (لو-لولا-لوما) وأداة الشرط غير الإمتناعية (إن)، ولديها أهداف وأغراض متعددة مثل التأكيد والإختصار التهويل والتفخيم أو تحقير مقام المحذوف.

قائمة المراجع والمصادر

إن خير ما نبتدىء به القرآن الكريم

١- نهج البلاغة

٢- إبن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم؛ لسان العرب؛ بيروت، مؤسسه الأعلمي للمطبوعات، ١٤٢٦ هـ.ق.

٣- إبن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر؛ بدائع الفوائد؛ بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.

٤- إبن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي؛ شرح مفصل؛ قاهرة، إدارة الطباعة، د.ت.

٥- الإستراباذي، رضي الدين؛ شرح الرضي علي الكافية؛ طهران، مؤسسة الصادق للطباعة و النشر، ١٣٨٤هـ.ش.

٦- الأندلسي، أبو حيان؛ ارتشاف الضرب من لسان العرب؛ قاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ.ق.

٧- الأنطاكي، محمد؛ المحيط في أصوات العربية نحوها و صرفها؛ بيروت، دار الشرق العربي،١٩٨٢م.

٨- التفتازاني، سعد الدين؛ المطوّل؛ بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٥هـ.ق.

٩- دهخدا، علي اكبر؛ لغت نامه دهخدا؛ طهران، جامعة طهران،١٣٣٧.

١٠- سيبويه، أبي بشر عمر و بن عثمان بن قنبر؛ الكتاب؛ بيروت، دار التاريخ، د.ت.

١١- سيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر؛ الإتقان في علوم القرآن؛ بيروت، دار الكتاب العربي،١٤٢٧هـ.ق.

١٢- عباس، حسن؛ النحو الوافي؛ طهران، ناصر خسرو،١٣٦٧.

١٣- العلوي، مؤيد بن حمزة بن علي؛ الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز؛ بيروت، المكتبة العصريه، د.ت.

١٤- فوّال باقي، عزيزة؛ المعجم المفصل في النحو العربي؛ بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ.ق.

١٥- فيروزآبادي، محمد بن يعقوب؛ قاموس المحيط؛ بيروت، دار الكتب العربية، د.ت.

١٦- الكفوي،أبي البقاء أيوب إبن موسي الحسيني؛ الكليات الكفوي؛ دمشق، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، د.ت.

١٧- المبرّد، محمد بن يزيد؛ المقتضب؛ بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.